مداخلة في الملتقى الدولي "إشكالية المصطلح في النقد العربي المعاصر" بجامعة الجلفة يومي 26 و27 فيفري 2022م موسومة بـ

"التوفيق بين المصطلح النقدي العربي التراثي والمصطلح النقدي الغربي المعاصر لتوليد المصطلح النقدي العربي"

إعداد الذكتور: لخذاري سعد

مكان العمل: جامعة أكلي محند أولحاج بالبويرة، قسم اللغة والأدب العربي

الرتبة العلمية: أستاذ محاضر صنف أ

التخصص: سيميائيات وتحليل الخطاب

ملخص

يأتي بحثنا لمعالجة الإشكالية المتمثّلة في ضرورة التكييف والتوفيق بين المصطلح النقدي العربي القديم والمصطلح النقدي الغربي المترجم الوافد، كأن نبحث عن مقابل تراثي عربي للمصطلحات النقدية الغربية المترجمة المستحدثة، وكذلك تفعيل دور المجامع اللغوية والمجالس لاختيار مصطلحات عربية نقدية حديثة توفيقية حسب الحجج العلمية، وحسب اجماع المتخصصين في الترجمة والنقد وعلوم اللغة العربية.

Abstract

Our research comes to address the problem of the need to adapt and reconcile between the ancient Arab critical term and the translated Western monetary term, as if we were looking for an Arab heritage for the newly translated Western monetary terms, as well as activating the role of linguistic academies and councils to choose modern Arab critical terms compromise according to scientific arguments, and according to the consensus Specialists in translation, criticism and Arabic language sciences.

أ) مقدمة

يعتبر المصطلح الأداة والنواة الأساسية لأي علم سواءً كان إنسانيا أو تجريبيا، وقد دأب الباحثون منذ القديم على توليد وصناعة المصطلح، وذلك بإيلاء الأهمية لكل من الشكل الصرفي والجانب الدلالي، ونحن في بحثنا هذا النقدي، نعالج قضية المصطلح النقدي العربي الحديث والمعاصر الذي تتجاذبه عدة تيارات تاريخية ومكانية وإيديولوجية، ومن أبرز التيارات؛ التيار التراثي العربي النقدي البلاغي، والتيار النقدي الغربي الحديث والمعاصر، مما ولّد مشاكل كبيرة تعتري المصطلح النقدي العربي المعاصر، كالغموض والتعدد والخروج عن مألوف اللغة العربية...ويأتي هذا البحث لتشخيص واقع المصطلح النقدي العربي، من حيث الأسباب التي أدت لفوضى المصطلح وإيجاد الحلول لتحقيق استقرار مصطلحي، والبحث عن جذور وأسباب المشكلة.

ب) مفهوم المصطلح/ المصطلح النقدي

يعتبر مفهوم المصطلح من المفاهيم التي تنوع الرأي فيها بين النقاد الغربيين والنقاد العرب،" وعلى حدّ تعبيره يطرح (محمود فهمي حجازي) أفضل تعريف أوربي للمصطلح يقول: (الكلمة الاصطلاحية أو العبارة الاصطلاحية مفهوم مفرد أو عبارة مركبة استقرّ معناها أو بالأحرى استخدامها وحدد في وضوح؛ هو تعبير خاص ضيق في دلالته المتخصصة، و واضح إلى أقصى درجة ممكنة، وله ما يقابله في اللغات الأخرى ويردد دائما في سياق النظام الخاص بمصطلحات فرع محدد، فيتحقق بذلك وضوحه الضروري). ويعقب مجازي مؤكّدا وجوب وضوح الدلالة واتساقها داخل الحقل الدلالي الواحد، مفرقا بذلك بين (الإشارة اللغوية) و (المصطلح)، حيث تتمتع الأولى بالتعدد الدلالي، وفق توجه دفة السياق، بينما (المصطلح) له دلالته الثابتة المحددة مهما اختلف السياق، والمفهوم الأوروبي يتفق بذلك مع ما طرحه (فلبر)، في حين تبقى قضية (الكلمة) كإشارة لغوية حين تدخل مجال المصطلح (كمصطلح على مصطلح) قائمة، وهو ما يشير إليه حجازي بقوله: (أما الكلمات التي لها استخدام في اللغة العامة ولها استخدام اصطلاحي، فإنها تدخل في الاستخدام الاصطلاحي مجالا دلاليا جديدا، ويكون معناها ضيقا وخاصا فتكتسب في هذا المجال الجديد دلالة اصطلاحية محددة

ومباشرة)، وهو ما أشار إليه أيضا (فلبر) بالتصور (المعنى) الذي تمّت المواطنة الاصطلاحية عليه من بين العديد من التصورات"[1]؛ وهو ما يجب أن يكون في نقدنا العربي المعاصر، أي أننا نكون واضحي الدلالة الاصطلاحية النقدية من غير لبس ومن غير تغير السياقات كالأشخاص مثلا والأماكن، إن المصطلح له مجال دقيق وضيق وشفاف، عكس الكلمات التي تحتكم إلى السياق حسب الأشخاص والمجالات والأزمنة والأمكنة، نحن نلاحظ أن المصطلح النقدي العربي اليوم تتجاذبه تيارات فكرية وشخصية أحيانا، وهو مما لا يخدم قضية الارتقاء بالمصطلح حتى يكون في متناول المتلقي المتعمق والعادي، ويؤدي وظيفته الإجرائية في تحليل الأعمال الأدبية.

لكل علم مصطلحاته التي تؤسس له وتنظمه، ولابد من جعل المفاهيم العلمية في مصطلحات، ونحن في هذا البحث ، نجد المصطلح النقدي، فـ:" المصطلح أداة من أدوات التفكير العلمي ووسيلة من وسائل التقدم العلمي والأدبي، وهو قبل ذلك لغة مشتركة، بها يتم التفاهم والتواصل بين الناس عامة أو على الأقل بين طبقة أو فئة خاصة في مجال محدد من مجالات المعرفة والحياة. فإذا لم يتوفر للعلم مصطلحه العلمي الذي يعدّ مفتاحه، فقد هذا العلم مسوّغه وتعطّلت وظيفته. ومن هنا كان لابدّ من تحديد الألفاظ والمفهومات، لأنّ مثل هذا التحديد هو المنطلق الأول للتفكير العلمي...وما نقصده هنا (المصطلح النقدي) يشمل مصطلحات علوم عديدة، كالنقد، والبلاغة، والأدب، والعروض، والقافية...إلخ"[2]، و:" إذا كان المصطلح رمزا وُضع بكيفية ما، اعتباطية أو اتفاقية بين فئة من المختصّين، في حقل ما من حقول العلم والمعرفة، فإنّ هذا الوضع يحتاج إلى الوضوح والدقّة، ذلك أنّ المعاني متفاوتة ومتنوعة، فهناك معنى اصطلاحي، وآخر استعمالي، وثالث معجمي...إلخ، فالمعنى الاصطلاحي عرف خاص، لأنّه ثمرة اتفاق طائفة معينة في علم ما على أمر ما. والمعنى المعجمي عرف عام مشترك بين الناس جميعا"[3]؛ فالمصطلح ضروري في النقد الأدبي، وله قواعد وضوابط تصنعه، فهو من نشاط المتخصصين من النقاد، وهو قائم على التواضع والإجماع، فكلّ يوم تخرج لنا مصطلحات جديدة يولّدها النشاط النقدي خاصّة غربيا، ما يدعو النقّاد العرب للقيام بمجهودات حثيثة لتوليد المصطلح النقدي العربي، وكذلك الاستغناء عن بعض المصطلحات التي لم تعد إجرائية أو تجاوزها الزمن، فالمصطلح فضاء نشط

يروم التحديث والعمل المتواصل لتحديث المعرفة والأنساق الفكرية، كما أنّ صناعة المصطلح تخضع للوزن العربي وخصائص اللغة العربية في البنية والدلالة.

ج) إشكالية استناد النقاد العرب على المصطلحات النقدية الغربية من غير تمحيص

إنّ هناك أخطاء يقع فيها النقاد العرب لدى وضع المصطلح النقدي، فـ:" ما يزيد المشكلة تعقيدا هو الانجذاب نحو المصطلح النقدي الوافد بكلّ تداعياته، وجعله أساسا في الدراسة النقدية المعاصرة، الأمر الذي يفقد في كثير من الأحيان إمكانية الاستفادة من الموروث النقدي على مستوى مقارنة المصطلح الوافد بالمصطلح القديم أو استبداله بما هو موجود في التراث من مصطلحات نقدية معروفة، تسهّل عملية الخطاب والتلقي في الدرس النقدي الحديث...وهذا بالضرورة يرتبط بالناقد وقدرته في التعامل مع المصطلح وفق ثقافته الخاصة، وقدرته على استيعاب القديم، والاستفادة من الحديث وتوسيع دائرة هذه الثقافة لتشمل المحتوى الفكري...وقد يجد بعضهم في المصطلحات الجديدة فرصة للثورة على المصطلحات التراثية القديمة أو محاولة رفضها، الأمر الذي يبتعد بالدراسات النقدية الحديثة عن الأصول المكونة لثقافتنا الأدبية، ومناهجنا النقدية، ولا يعني ذلك أننا نرفض الاستفادة من المناهج النقدية الحديثة، أو ما توصّلت إليه مدارسهم في مجال إبداعات النقد، بل على العكس نحن نشجع على ذلك"[4]؛ فعلى الباحث النقدي الصانع للمصطلح النقدي العربي أن يكون واسع الإلمام بجهود نقادنا وبلاغيينا التراثيين ويتقن كذلك الموازين الصرفية والنحوية، كما أنّه على الناقد أن يكون على دراية باللغة المترجم منها نقديا حتّى يعرف تصوراتها وأنظمتها الصرفية والدلالية حتّى يعرف فيما بعد كيفية ربط المصطلحات النقدية الغربية بالمصطلحات النقدية العربية القديمة، فيقوم فيما بعد بإيجاد مقابلات تراثية قديمة تناسب السياق الحديث، لأنّ الباحث الذي يهمل التراث النقدي العلمي العربي سيكون بذلك بعيدا عن نطاقنا الفكري وخصوصيتنا العربية، ولنا تأمّل في النقاد الغربيين الذين يحترمون ويعودون دائما للجهود الكلاسيكية في النقد والبلاغة

واللغة منذ اليونان إلى فترتنا الحديثة والمعاصرة. لقد قام علماءنا العرب القدامى بجهود جبارة علينا الإفادة منها في صناعة المصطلح النقدي وفي تغذية الحداثة الفكرية في النقد واللغة والمناهج المعاصرة.

إنّ ما يشكل الخطر على النقد الأدبي العربي ومصطلحاته هو خضوعه وتابعيته التامة للنقد الغربي،" ويبدو أنّ ذلك فرض على النقد العربي المعاصر أن يعيش حالة من الاغتراب والانقطاع عن جذوره، لأن معظمه مستمد من جذور غربية النشأة، نتيجة لتبعيته النقدية التي تكشف عن تأثّر الكثير من النقاد العرب بالغرب وانفصالهم عن التراث النقدي العربي القديم. ففقد ميزة الإبداع الذاتي من باطن النصوص. وتتبلور خطورة هذه التابعية النقدية في النهل من المصطلحات الغربية بطريقة عشوائية غير منظمة مما أدّى إلى خلط واضح في مفاهيم المصطلحات وتضاربها، وغموض دلالتها، خاصة مصطلحات الحداثة وما بعد الحداثة، والنقد التوليدي، والنقد التكويني، والنقد اللابنائي، والنقد التفكيكي، والنقد الموضوعاتي، والنقد العلمي...ولعلّ ذلك أسهم في جعل النقد العربي يعيش أزمة اصطلاحية خانقة يرجعها بعض النقاد إلى أزمة عربية عامة على جميع المستويات"[5]؛ فقد صارت الترجمة النقدية موضة ومحل تسابق بين النقاد، ما أدّى إلى وجود كم كبير من المصطلحات الغربية التي لا تمت بصلة لتراثنا، كان من الأجدر البحث عن امتداد لتراثنا في النقد الغربي المعاصر وذلك لتجديد النقد العربي القديم والبحث عن أسباب ضعفه، إنّ الانهماك فقط والإنكباب على النقد الغربي فقط يقضي على تراثنا ومصطلحاتنا المتوارثة، وكذلك نلاحظ جمهور القراء انغلاقه الكبير على المصطلحات الغربية بسبب غموضها وابتعادها عن خصائص وأنساق لغتنا العربية، فعلينا أن نتقن الموازنة في النظر للنقد الغربي ومصطلحاته بحيث علينا أن نتسلح بفهم جيّد لتراثنا النقدي حتّى نجد متنفسا يعبّر فيه عن أنظمته وأنساقه.

د) ميل بعض النقاد العرب للمصطلح النقدي الغربي وإهمال المصطلح النقدي العربي التراثي

يرى "أحمد مطلوب" أن النقاد العرب المترجمين مالوا كل الميل في الاعتماد على المصطلح النقدي الغربي، وأهملوا التراث النقدي العربي، بينما الغربيون لم يتناسوا تراثهم، يقول:" ولكن الاتجاه –في السنوات الأخيرة– بدأ يميل إلى الغرب كل الميل، وصار المؤلفون والمترجمون والنقاد يغرفون من المصطلحات الأجنبية فيما ينشر ويترجم، وبدأت الأصوات ترفع

شعار (إشكالية المصطلح النقدي) وتعقد من أجله الندوات والمؤتمرات، ولو رجع من يرفع هذا الشعار إلى التراث العربي الضخم لوجد الطريق ممهدا، ولو أدرك مسالك الغربيين وعودتهم إلى التراث اليوناني والروماني لرأى السبيل واضحة للعيان. ومما أدّى إلى (إشكالية المصطلح) أن بعضهم لا يعرف الظروف التي نشأ فيها المصطلح، والأسباب التي دفعت إلى وضعه، ولم يطلع على الأدب الأجنبي اطلاعا يؤهله لفهم المصطلح فهما دقيقا، واكتفى بما يكتب عن الأدب من مقالات أوقعته في الخلط والاضطراب. إنّ إشكالية المصطلح النقدي حدثت من فوضى التأليف والترجمة، ومما زادها خللا واضطرابا:

1- اختلاف ثقافة المؤلفين...

2- اختلاف الأوربيين أنفسهم في المصطلح ونظرتهم إليه من خلال ثقافتهم الخاصة أو مذهبهم الأدبي والنقدي...

3- الاشتراك اللفظي في اللغة المنقول عنها واختلاف المترجمين على اللغات المختلفة.

4- الاشتراك اللفظي في اللغة العربية ودلالة المصطلح الواحد على عدّة أشياء ومن ذلك التضمين..."[6]؛ فأحمد مطلوب هذا الباحث المجد يدرك جيّدا قضية المصطلح النقدي العربي، فما ولّد الإشكال هو الانكباب على نقل المصطلحات النقدية الغربية، وتغييب المصطلح النقدي العربي التراثي، بينما نجد عند النقاد الغربيين اهتمام كبير بالموروث الكلاسيكي منذ الحضارة اليونانية، كما أن المترجمين لا يتعمقون في المصطلحات الغربية، وذلك للاختلاف فيها بسبب عدة اعتبارات، إما نتيجة توجهات فكرية، أو قضايا متعلقة بفقه لغاتها، فهناك الكثير من المترجمين العرب ينقلون من غير تحليل وتأصيل وتتبع في اللغات المترجم منها، مما يؤدّي إلى فوضى المصطلح وتعدده والتباسه.

إن النقد الغربي صار ديدن الكثير من النقاد العرب المعاصرين، فـ:"...متابعة جادة لاتجاهات النقد العربي الحديث تكشف بجلاء ويسر عن حقيقة مفادها أن جميع المظاهر الفاعلة لهذا النقد، لا تخرج في حقيقتها عمّا أنتجه العقل الغربي، من رؤى ومناهج ومفاهيم وتصورات، ولاسيما منذ النصف الثاني من قرننا الحالي، حتى يومنا هذا. وإذا

كانت اتجاهات النقد الغربي وتياراته، تتفاوت في درجة تحقيقها الصورة النموذجية للنقد الغربي، اقترابا وابتعادا، انقيادا واستحياءً، متابعة ولهاثا، فإن هذه الاتجاهات تظل متأثرة تأثرا يأخذ شكل الإنصات السلبي والتبني الجاهز، ما يجعل كثيرا من النقاد يرون في هذه المناهج محض صدى لتلك النغمات التي يعزفها الآخر. ولاشك في أن هذا الوضع قد ولّد ردود أفعال متباينة لدى النقاد العرب المحدثين، توزعت على ...اتجاهات، الأول يرى لا مندوحة للنقد العربي، إذا ما أراد تحقيق منهجي فاعل وحقيقي من أن يندمج في سياق فعالية النقد الغربي، وآلية إنتاجه لمنظومة البنى والمفاهيم والتصورات التي لم يعد بإمكان النقد العربي اللحاق بوتائر التطور المعرفي الهائل المتحقق لدى الغرب، أما الاتجاه الثاني: فلا يعدو أن يكون رد فعل للاتجاه الأول، إذ يرفض أصحابه محاكاة النقد الغربي أو تبني أيًّا من إنجازاته المنهجية، ويسعون بدلا من ذلك إلى الاعتصام بالتراث النقدي العربي، داعين إلى إحيائه وتطوير صياغة تهدف إلى تقديم نظرية نقدية عربية بدلا من الاكتفاء بالاستيراد الجاهز والتقليد الآلي"[7]

هـ) شروط الافادة من المصطلح النقدي العربي التراثي

يرى الباحث "خليل عودة" أنّ الإفادة من المصطلح النقدي العربي التراثي تقوم على جانبين هما:[8]

1) الاستيعاب الصحيح والفهم الواعي لمناهج النقد الغربي ومصطلحاته المستخدمة في حدود اللغة العربية، ونماذج الأدب الذي يمكن التطبيق عليها في هذه اللغة.

2) عدم إهمال المخزون التراثي في مجال النقد العربي ومصطلحاته المستخدمة، فإذا كان المصطلح الوافد لا يختلف عن مضمون مصطلح تراثي قديم، فلا ينبغي التمسك بمصطلح جديد لمضمون قديم، إذ ليست الحداثة في المصطلح، وإنّما في مضمونه وقدرته على الإفادة في تحليل النص، والوصول بالقارئ إلى فضاءات جديدة من المعرفة، والتفاعل مع النصوص الأدبية.

وهذا ما على واضع المصطلح النقدي أخذه بالحسبان، فنحن لا نريد مصطلحات وافدة جديدة لها نفس أداء مصطلحات نقدية قديمة وبالتالي قضايا أفاد بها التراثيون القدامى، فعلينا أن نكون عمليين، نحافظ على تراثنا النقدي العربي ونضيف إليه الجديد، ونكتفي فقط من الدراسات النقدية العربية ما يتوافق مع أدبنا ولغتنا العربية، فكلّ جهد نقدي له بيئته ولكل لغة أدواتها وخصائصها.

و) خطورة الترجمة الحرفية الشكلية دون الدلالة على المصطلح النقدي العربي

تعتبر الترجمة الحرفية من غير اجتهاد في المصطلح النقدي من أهم المشاكل التي يعاني منها المصطلح النقدي اليوم، فـ:" من الأسباب الرئيسة التي خلقت هذه المشكلات الترجمة الحرفية للمصطلح النقدي من اللغات الغربية إلى اللغة العربية، فالمترجم اختصر دوره في عملية نقل المصطلح على النقل الحرفي بتحويل الكلمات والجمل الأجنبية إلى ما يعادلها في اللغة العربية مبتورة من سياقها، دون معرفة لفكرتها أو رؤية الموضوع أو اهتمامات الكتّاب، وخصائص الفكرة المجسّدة في النص الأدبي أو المناسبة التي أنتجت النص، فالترجمة الحرفية الشكلية لا الدلالية تفقد المصطلح النقدي خصائصه الجوهرية، مما يجعل المصطلحات غير مألوفة للمتلقي العربي الذي يواجه أصلا أزمة حادة مع النص...إذ إنّ فقدان الحس الجمالي والفني والوعي الذهني عند المترجم يمكن أن يؤدّي بالترجمة الحرفية للمصطلح إلى تصور آخر لا علاقة له بالمعنى الأصلي للمصطلح، فتتضارب الصور وتتماهى في الحقل الدلالي الواحد، لتركيز المترجم على المعنى اللغوي دون الاهتمام بالدلالة، مما يؤدّي إلى قتل المعنى الأصلي المراد من المصطلح"[9]؛ ولهذا فإننا نرى اليوم تفجرا اصطلاحيا نقديا كبيرا يلتبس معه الفهم وفي بعض الحالات نجد مصطلحات عديدة لمفهوم واحد، فنجد مصطلحات جاءت كما هي من عند الغربيين من غير إخضاع للميزان الصرفي العربي، وبنية الكلمة العربية، كما أننا نرى مصطلحات وافدة لها ما يقابلها في التراث النقدي العربي، ولكن المترجمين يحجمون عنها بسبب النزعة الفكرية الغربية التي جعلوها كمنظار لهم في كل الأمور، فعلى المترجم أن يتحمل مسؤولية كبيرة تجاه تراثنا النقدي بأن يقرأه ويستحضره ويستعين به أثناء الترجمة، حتى نحقق غايات

كثيرة، ومن أبرزها ارتياح القارئ للمصطلحات المترجمة والقدرة على استيعابها، وحتى تستكمل المسيرة التي بدأها نقادنا القدامى، فالأهم هو نقل الرؤية والدلالة وتمثّلها في مسارنا النقدي الطويل، وكذلك مراعاة بيئتنا العربية بنحوها وصرفها وأدبها وأجناسها الإبداعية.

ز) آلية وضع المصطلح النقدي العربي المعاصر

يقدّم أحمد مطلوب الوسيلة الناجعة لتفعيل التراث النقدي العربي ومصطلحاته في إنشاء مصطلح نقدي معاصر وبقراءة جادة للمصطلح النقدي الغربي، فيقول بأنّه علينا:"...رصد المصطلحات النقدية العربية والوقوف على دلالتها وتغيرها في العهود المختلفة، والأخذ بما ينفع في النقد الأدبي الحديث، وسيجد الباحثون كثيرا من المصطلحات التي تعينهم في نقد الشعر، وصياغة الكلام، وتنوع الأساليب، وقد يظن من لا علم له بمصطلحات البلاغة والنقد عند العرب أن المصطلح النقدي يخص الشعر وحده، وهذا وهم كبير، وما جاء في: (معجم المصطلحات البلاغية وتطورها) بأجزائه الثلاثة، و (معجم النقد العربي القديم) بجزءيه، يبين أن المصطلح لم يكن خاصا بالشعر وإنّما شمل النثر وألوانه المعروفة في ذلك العهد، وتضمّن ما يتصل باللفظ والصياغة، والتصوير، والتحسين...فهناك فنون استحدثت في العصر الحديث وتعاطاها العرب تقليدا وإبداعا، و وضعت لها مصطلحات تعبر عنها وتدل عليها، ولابد من جمع هذه المصطلحات المستحدثة وتنسيقها والأخذ بما ينسجم وروح اللغة العربية ، ثم تأتي بعد ذلك مرحلة النظر فيما يستجد من مصطلحات، وهناك عدة وسائل لوضعها، منها الاشتقاق، والمجاز والترجمة، والتوليد، فإن تعذرت هذه الوسائل كان التعريب، وهو نقل الكلمة الأجنبية إلى العربية على أن لا تخرج عن المنهج الذي تفوهت به العرب في التعريب، ويتم رصد المصطلحات النقدية في عدّة مظان..."[10]؛ فالنقد البلاغي العربي قطع أشواطا كبيرة طوال قرون، واهتم بالشعر والنثر، فنجد أن النقاد

المعاصرين العرب المترجمين لم يلمّوا أو يتعمّقوا في هذا التراث، ولهذا ينكبّون على النقل المباشر من عند الغربيين وعدم مراعاة خصوصيات اللغة العربية وقواعدها، فنقع في الخلط والتعتيم والفوضى، بينما هناك بدائل يوفرها نقدنا العربي ومصطلحاته، فاللغة العربية توفر آليات عديدة لتوليد المصطلح النقدي، فعلينا أن نتمثّل التراث أثناء صياغة المصطلح وتبنيه، وفي كلّ مرّة علينا أن نجري قياسا بين المصطلحات الوافدة وما يمكن أن يتساوى معه في تراثنا حتّى نفعّل مصطلحاتنا التراثية ونرجع الدور الريادي الذي قامت به وقتا معينا، إنّ مجرّد نقل المصطلح الغربي كما هو من غير تمحيص يقتل فينا الإبداع ويجعلنا تابعين لسياق غربي غير سياقنا وخصوصيتنا الفكرية.

ح) أسباب هيمنة المصطلح النقدي الغربي

يرى الباحثون أن ضعف البحث لدى النقد العربي وتأخره الحضاري أدّى لغزو المصطلحات النقدية الغربية، ولكن الحل يكمن في إعادة تجديد الحس النقدي والفكري،" إنّ ذات الفرد العربي المغتربة ثقافيا هي ذات محرومة من القدرة على التعاطي مع تطور الحياة الذي هو سنة كونية، لأنها ببساطة تخلت (طواعية أو قسرا) عن حقها الأصيل في تعهد ثقافتها بالنقد والتطوير، كما تخلّت عن البحث العلمي الجاد والرصين الذي به توجد المفاهيم والنظريات، وتولّد المصطلحات، فصرفت بذلك المسألة الحضارية من سياقها الحقيقي المتمثل في متابعة الاكتشافات العلمية والمساهمة فيها إلى الغرق في مواجهة المد المصطلحي، وبقيت أسيرة محاولات أعجمية أربكت الفكر العربي، وأبقت الفكر النقدي فيه غائبا إلى أمد غير معروف، وما من شك في أنّ هذه المسألة تسوّغ ضرورة بناء فكر عربي جديد ينطلق من رؤية تثاقفية تشركه ولا تلغيه، تنبني على تصور ينزه الذات العربية عن أيّ شك في قدرتها على الوصول إلى المعرفة، وإدراك حقيقتها وجوهرها والتمكن من التحكّم فيها. ذات تؤمن بقدرتها على صناعة الزمن بنفسها ولنفسها بدلا من الخضوع لكرونولوجيته الساحقة التي يستحيل فيزيائيا تخطيها وتجاوزها"[11]؛ فأزمة المصطلح النقدي العربي حاليا سببها منظومة فكرية ضعيفة مولعة بتقليد الغالب والانكفاء على الذات وانتظار الغربي لينتج المنهج والفكر والرؤية، وبسبب ضعفنا نأتي مباشرة بالمصطلح من سياق غير سياقنا ومن غير تصرف واضح على المصطلحات، ما يؤدي إلى أزمات أكثر من الأزمة

التي كنا نعايشها، إنّ نهضة النقد ومصطلحاته تأتي من إيماننا بأنفسنا وتحديث منظومتنا الفكرية والنقدية وإرجاع الفاعلية النشطة التي صاحبت البلاغة والنقد لقرون، إنّ كل حضارة تستفيد من فكر حضارات أخرى، ولكن الفيصل في الأمر يكمن في الاعتزاز بالذات والقدرة على تكييف الفكر الوافد لخصوصيتنا وسياقنا العربي، ومحاولة انفتاح المصطلحات الوافدة لتحاكي تراثنا النقدي العريق.

إن أزمة المصطلح النقدي العربي اليوم تعود إلى انتظار ما ينتجه الناقد الغربي ثم استهلاكه ونقله من غير اجتهاد وابتكار، فهناك:"...مساحة فارقة في الوعي بالمصطلح بين المجتمعين العربي والغربي، ففي الوقت الذي يتصف فيه المجتمع الغربي بقدرته على إنتاج الجديد من الأفكار على حساب القديم أو البائد منها، يضاف إلى ذلك قدرة الوعي الغربي على أن يكون له السبق في طرح الجديد من هذه الأفكار في مقابل مجتمع استهلاكي يعتمد على ما ينتجه الغير، وربما يرى في ذلك أحقيته بصورة ما من الصور، تلك المساحة تستدعي النظر إلى آليات الوعي بالإبداع في المجتمع العربي، فمن الملاحظ أن الإبداع بوصفه نشاطا إنسانيا قد وصل جدًّا من التطور جعله يفارق الآليات القديمة، ويخلق آلياته الجديدة الفارقة، في الوقت الذي لم تتطور فيه عقلية التلقي أو لم تتحرك فيه وعي التلقي خطوة واحدة للأمام لقبول الأنواع الأدبية الأخرى أو الجديدة، مما يجعلنا في حاجة للوقوف عند معوقات تقبل الأفكار الجديدة في النقد العربي، تلك التي تتمثل في مجموعة من العوامل الطارحة لهذه المعوقات، وهو بالأساس ما يعاني منه المشهد النقدي وينسحب بالضرورة على المجتمع بشكل عام"[12]؛ فانتظار ما يستجد عند النقاد الغربيين من مفاهيم ومصطلحات ثم ترجمته ونقله إلى النقد العربي لا يشكل ذلك أبدا إبداعا عندنا، فالإبداع يأتي عن طريق القدرة على الابتكار وعلى نقد الأفكار القديمة وطرح الجديد، فنحن اليوم صرنا مجتمعا استهلاكيا، صحيح أنه يجب أن نحترم تراثنا مثلما يحترم النقاد الغربيون التراث الفكري الكلاسيكي الغربي، ولكن في الوقت عينه علينا أن نتسم بالقدرة على رسم طريق للبحث النقدي حتّى يكمل المسيرة التي بدأها علماءنا النقاد التراثيون لأن كل طرح هو مجهود نسبي قابل للتغير والتحديث والانتقاد، فهناك حركية كونية للفكر البشري تتطلب حسا نقديا ومصطلحيا تجديديا وابتكاريا.

ط) دعوة الجابري إلى القطيعة الابستومولوجية مع التراث

إن "عابد الجابري" يدعو إلى القطيعة الابيستيمولوجية مع التراث، وهي القراءة السليمة للتراث بفكر نقدي للإفادة منه للتعامل مع القضايا المستجدة ومن ضمنها النقد ومصطلحاته،" لابد من الاشارة أولا إلى أنّ القطيعة الابيستومولوجية لا تتناول موضوع المعرفة، ولذلك فلا علاقة لها اطلاقا بالأطروحة الفاسدة المنادية بإلغاء التراث في المتاحف أو تركه (هناك) في مكانه من التاريخ، إنّ رفض التراث بهذا الشكل الميكانيكي موقف لا علمي لا تاريخي، هو ذاته من رواسب الفكر التراثي في عصر الانحطاط. القطيعة الايبستومولوجية تتناول (الفعل العقلي)، والفعل العقلي نشاط يتم بطريقة ما بواسطة أدوات هي المفاهيم، وداخل حقل معرفي معين قد يظل موضوع المعرفة هو هو، ولكن طريقة معالجته والأدوات الذهنية التي تعتمدها هذه المعالجة والإشكالية التي توجهها والعقل المعرفي الذي تتم داخله، كل ذلك قد يختلف و يتغير. وعندما يكون الاختلاف عميقا وجذريا، أي عندما يبلغ نقطة اللارجوع، النقطة التي يمكن الرجوع منها إلى الطريقة السابقة، نقول أن هناك قطيعة ايبستومولوجية. نحن لا ندعو، إذن، إلى القطيعة مع التراث، القطيعة بمعناها اللغوي الدارج —كلا–، إن ما ندعو إليه هو: التخلي عن الفهم التراثي للتراث، أي التحرر من الرواسب التراثية في عملية فهمنا للتراث..."[13]؛ فالجابري يرى بأننا صرنا حبيسين للتراث ولم نتناوله بحس نقدي ومنهجي، وهذا ما هو واقع في المصطلح النقدي اليوم، إن المترجمين من النقاد يبتعدون عن توظيف التراث لأن لديهم نظرة معرفية تقول بأن تراثنا النقدي البلاغي مكانه المتحف، لأنهم لا يكلفون أنفسهم إجراء استقصاء نقدي وإنما يريدون الجاهز من المفاهيم النقدية والمصطلحات من غير تقليب الأمر بمنظار تراثي، وإيجاد متنفس للأنساق النقدية المعرفية العلمية التي يزخر بها تراثنا، فالجابري ينتقد التراثيين لتفسيرهم التراث بالتراث، وينتقد التغريبيين العلميين الذين يغضون الطرف عن مجهودات علمائنا القدامى، والحل يكمن في القطيعة الابستومولوجية التي تعني تمحيص التراث وتسليط منهج موضوعي يبحث عن المعرفة العلمية لتوظيفها حديثا وعلى رأسها في بحثنا هذا؛ النقد ومصطلحاته.

ي) تجاذبات المصطلح النقدي العربي المعاصر

إن المصطلح النقدي العربي اليوم تتجاذبه عدة تيارات، تيار تراثي، وتيار غربي يريد استقدام مفرزات النشاط النقدي الغربي، ثم هناك صراع التيارات الإيديولوجية،" تنشأ إشكالية المصطلح النقدي العربي أساسا في أصوله التكوينية المعقدة بوصفه حصيلة لقوى جذب وطرد متباينة هي:

1- المصطلح النقدي في موروثنا النقدي والبلاغي.

2- المصطلح النقدي في أصوله الغربية المترجمة.

3- صراع المناهج والمفاهيم والنظريات والعلوم اللسانية والسيكولوجية والاجتماعية والأنثروبولوجية وغيرها.

4- محاولة تجاهل المصطلح النقدي بأنواعه أو السعي لتوليد مصطلحات جديدة بطريقة اعتباطية أو انطباعية.

فمن المعروف أن النقد العربي الحديث قد نشأ في مطلع هذا القرن باشتباك مباشر مع هذه القوى. فهو من جهة يمتلك جذورا تراثية نقدية وبلاغية وكلامية وفلسفية ومنطقية عميقة تشدّه إلى الموروث...وهو من جهة أخرى راح يتطلع إلى القيم والمفهومات النقدية والاصطلاحية التي جاء بها النقاد الغربيون، كما شهد الربع الأول من القرن العشرين صراعا مكشوفا بين هذين الاتجاهين، كل اتجاه يحاول أن يشيع مصطلحاته النقدية الخاصة. فالاتجاه الموروث كان يتوسل أساسا بالمصطلح البلاغي واللغوي والأخلاقي والفلسفي أحيانا عند تحليل ظاهرة أدبية أو نص إبداعي، كما وجدنا ذلك في كتابات حسين المرصفي في (الوسيلة الأدبية) وحمزة فتح الله في (المواهب الفتحية) ومحمد المويلحي في نقده لشعر شوقي..."[14]؛ فما دام هناك تيارات تتجاذب المصطلح النقدي فإن ذلك سيزيد في تعدد المصطلح للمفهوم الواحد، وكثرة الالتباس والغموض، ومن مصلحة النقد تقريب الرؤى وأخذ الأمور بمنهجية توفيقية وسطية تراعي التجديد والفهم عن الغربيين، ونحافظ على موروثنا النقدي العريق، مثلما فعل النقاد الغربيون الذين احترموا موروثهم الكلاسيكي اليوناني والروماني. إن الإفراط في اعتماد المصطلح النقدي الغربي سيؤدي لضياع مجهود نقادنا وبلاغيينا، ويخرج لنا نقدا بعيدا عن

سياقنا الحضاري واللغوي والفكري، ولا يحقق بعدها المصطلح النتائج المرجوة. فعلينا أخذ ما يتناسب من عند النقاد الغربيين وإحياء ما يخدمنا من مصطلحات ونقد علمائنا العرب القدامى.

ك) تعريب المصطلح النقدي

يتحدث "يوسف وغليسي" عن التعريب كضرورة تلجئنا إلى اعتماد هذه التقنية والتي لها شروط حتى نحافظ على نقاء المصطلح النقدي العربي؛" لُجأ إلى التعريب من باب اللجوء إلى أخفّ الضررين، حين الوقوع بين موقفين أو اختيارين: أفضلهما مورفولوجيا هو أسوأهما دلاليا، ساعتها يقتضي الحسم اللجوء إلى منطق أحلى الأمرين، أي أولوية التضحية بالنقاء اللغوي في سبيل توضيح المفهوم، على التضحية بوضوح المفهوم في سبيل الحفاظ على نقاء اللغة. ويتضح ذلك في جانب من جوانب التلقي العربي لمصطلح Sémiologie، بين علم السيمياء (عند من يعتقد بعربية هذه الصيغة) والسيميولوجيا، حيث يفضل كثيرون الصيغة المعربة لأنها أوضح مفهوما من الصيغة العربية التي قد يلتبس مفهومها بمعمولها التراثي الخرافي، وقد استمات في الدفاع عن تعريب هذا المصطلح كلٌّ من عبد الله الغذامي ومحمد عناني وصلاح فضل...كذلك الحال بالنسبة لمصطلح (Poétique) الذي فضّل البعض تعريبه (البويطيقا، البويتيك...)، لأن صيغته العربية (الشعرية) تقصر مفهومه على جنس الشعر وحده، دون سائر الأشكال النثرية التي يتعدى إليها المفهوم الأجنبي...يستنام إلى التعريب حين يتعلق الأمر بمصطلحات أجنبية تجاوزت شكلها الدخيل، واندمجت في السياق الاستعمالي العربي، بحيث تُنوسيت مرجعيات صورها الدخيلة، وأصبح من الصعب تمييز ما إذا كانت صورتها عربية أو معربة..."[15]؛ فللتعريب شروط، وهو أن يحقق سلامة المفهوم على حساب سلامة الشكل، إن وغليسي يرى بأن هناك مصطلحات مرّت كما هي من اللغات الغربية أباحتها الضرورة، لأن التساهل في التعريب أو رد كل المصطلحات إلى هذه التقنية يقتل اللغة ويسممها ويقضي على هويتها، صحيح أن هناك مصطلحات مرّت من الدخيل الأجنبي، ولكن هذا الخيار لا يكون دائما ناجحا، فعلينا البحث دائما عن المقابل المصطلحي التراثي شريطة تساوي المفهومين بين المصطلح الغربي والمصطلح التراثي لتوليد المصطلح العربي الحديث.

ل) توليد المصطلح النقدي العربي بتقنية النحت

يلجأ بعض النقاد أحيانا في توليد المصطلح إلى تقنية النحت، والتي فيها أحيانا يكون هناك مزج بين مصطلحين أو أكثر، فيها ما هو عربي تراثي وفيها ما هو دخيل غربي. يتحدث وغليسي عن معايير علينا أخذها بعين الاعتبار في النحت، وهي:[16]

– ألاّ يقل عدد حروف الكلمة المنحوتة عن أربعة حروف، ربما كي لا تلتبس بكلمة أخرى تحمل الحروف نفسها، لكنها كلمة مفردة أصيلة مجردة.

– أن يكون لكل كلمة من الكلمات المنحوت منها معنى يختلف عن معنى الكلمة الأخرى لتجتمع المعاني في الكلمة المنحوتة.

– أن ننحت من الكلمات الأكثر تداولا واستعمالا.

– أن تبقى حروف المنحوت منه على ترتيبها بعد النحت.

– أن تشمل كل كلمة منحوتة على حرف أو أكثر من الحروف الذلاقة (ف، م، ل، ن، ب، ر) تطبيقا لقانون لغوي معروف يشمل الكلمات الرباعية والخماسية الأصل.

– التحقق من الائتلاف المطلوب في النسيج الصوتي للكلمة المنحوتة بالحذر من الوقوع في تنافر الحروف، إذ لا يستساغ اجتماع حرفين متنافرين في كلمة عربية...

– أن تؤدي الكلمة المنحوتة حاجات العربية من إفراد وتثنية ونسبة وإعراب...

– أن تكون على وزن عربي، قدر الإمكان، كأن تكون على وزن (فَعْلَلَ) أو (تَفَعْلَلَ) إذا كانت فعلا...

فالنحت تقنية لتوليد المصطلح تحافظ على تراثنا اللغوي وتركيب العربية وتحقق وسيلة إثراء مصطلحي نقدي عربي معاصر، فالنحت أفضل من التعريب لأن المصطلح المعرّب لا يحقق موازين العربية الصرفية والصوتية، فقد ابتكر الصرفيون العرب القدامى وفقهاء اللغة هذه الوسيلة لصنع كلمات تحمل بعد مفهومي جديد، وهو ما يساعدنا اليوم من الهجمة التغريبية للنقد العربي والاقتراب من روح اللغة العربية وموازينها.

م) خاتمة

وبعد البحث في المصطلح النقدي العربي المعاصر من حيث واقعه، ومشاكله، وحلوله، يمكن لنا تدوين بعض النتائج نوجزها في النقاط التالية:

1- المصطلح هو مفتاح العلوم، فبه ترسم العلوم ملامحها، ويتقوى بنيانها، وهو إيجاز لفكرة أو أفكار أو ظواهر.

2- المصطلح النقدي العربي التراثي له تاريخ طويل وثراء مغري، اجتهد عليه علماءنا طوال قرون من الزمن، ولكنه فقد رونقه وفعاليته بسبب الجمود الذي أصاب تطور المعرفة العربية في كل العلوم طوال القرون المتأخرة، وهي مجهودات تحتاج للبحث في أسباب جمودها ومحاولة توظيفها وبعثها لرفد الدرس النقدي والمصطلحي العربي المعاصر.

3- علينا الاعتراف بقدرة الدرس النقدي والمصطلحي الغربي المعاصر على الجدة والابتكار والفعالية لمرافقة النص الأدبي، ولكن علينا الحذر من تلك الجهود الغربية لكي لا نفقد تراثنا وخصوصيتنا العربية واللغوية، فعلينا التعاطي بذكاء وحنكة مع النقد الغربي للإفادة منه، كما علينا إيجاد استراتيجية فاعلة للمزج بين التيارين التراثي العربي والغربي المعاصر.

4- الاكتفاء بالمصطلحات النقدية التراثية العربية لا يقدم حلا لتطوير النقد العربي المعاصر، وكذلك الاكتفاء بالنقد الغربي لا يقدم الحل الناجع للنقد العربي، ويكمن حل الإشكال في إيجاد آلية توليدية للمصطلح النقدي العربي المعاصر باعتماد إحياء المصطلحات النقدية التراثية التي توافق الدلالة والإجراء الغربي، وكذلك احترام البنية الصرفية والتركيبية

للكلمة العربية، وذلك بتفعيل دور المجامع والمجالس العربية التي تحتوي على لجان من علماء متخصصين لهم اطلاع واسع على النقد التراثي العربي والنقد والفكر الغربي الحديث والمعاصر.

الهوامش

1- عزت محمد جاد، نظرية المصطلح النقدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2003م، ص: 25، 26.

2- محمد عزّام، المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي، دار الشرق العربي، لبنان، ص 07.

3- المرجع نفسه، ص 07.

4- خليل عودة، "المصطلح النقدي في الدراسات العربية المعاصرة بين الأصالة والتجديد، الأسلوبية أنموذجا"، مجلة جامعة الخليل للبحوث، المجلد 01، العدد الثاني 2003م، ص: 49، 50.

5- منتهى الحراحشة،"من مشكلات المصطلح النقدي في الدراسات النقدية العربية الحديثة والمعاصرة"، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، المجلد 06، العدد 02، 2009، ص 218.

6- أحمد مطلوب، "إشكالية مصطلح النقد الأدبي المعاصر"، ص: 49. 50. 51.

7- صالح هويدي، المناهج النقدية الحديثة، أسئلة ومقاربات، دار نينوى، ط1، سورية، 2015م، ص: 20، 21.

8- خليل عودة، "المصطلح النقدي في الدراسات العربية المعاصرة بين الأصالة والتجديد، الأسلوبية أنموذجا"، ص 50.

9- الحراحشة،"من مشكلات المصطلح النقدي في الدراسات النقدية العربية الحديثة والمعاصرة"، ص 220.

10- أحمد مطلوب، "إشكالية مصطلح النقد الأدبي المعاصر"، ص: 69، 70.

11 لحسن دحو، "كاريزما المصطلح النقدي العربي: تأملات في الوعي النقدي وصياغة المفهوم"، مجلة مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، العدد السابع، جامعة بسكرة، 2011م، ص 216.

12- مصطفى الضبع، "أسئلة النقد الثقافي"، مؤتمر أدباء مصر في الأقاليم، المنيا، ديسمبر 2003م، ص 03.

13- محمد عابد الجابري، نحن والتراث، المركز الثقافي العربي، ط6، بيروت، 1993م، ص: 20، 21.

14- فاضل ثامر، "إشكالية المصطلح النقدي في الخطاب العربي الحديث"، مجلة نزوى. الموقع:www.nizwa.com. تاريخ النشر: 1996/04/01م، تاريخ الاقتباس: 2022/01/27م.

15- يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2008م، ص: 460، 461.

16- المرجع نفسه، ص: 96، 97.